واجب الأمة فى مفهوم الكتاب والسنة

بقلم د / زكى محمد ابو سريع
مدرس التفسير وعلوم القرآن بالكلية

الحمد لله ذى الطول والإنعام ، والعزة التى لا ترام ، والجانب الذى لايضام ، الذى تسامى عن محيط العقول والأوهام .

نحمده أن هدانا للإيمان ، وشرح صدورنا للإسلام ، وأكرمنا بخير أنبيائه وصفوة رسله عليهم الصلاة والسلام .

أما بعد :

فإن الدين الذى نعتقد صحته ونؤمن به ، ليس دعاوى جوفاء ، أو كلمات ترددها الأفواه ، أو شعارات زائفة تتشدق بها الألسنة ، بل هو : قول وعمل واعتقاد . . .

فمفهوم الاعتقاد : أن الله تبارك وتعالى هو الموصوف بكل كمال يليق بالذات المقدسة ومنزه عن جميع النقائص التى لا تليق بذاته العلية وأنه أرسل رسلا وأنبياء كثيرين ليأخذوا بيدالبشرية من غياهب الآثام إلى عزة المعرفة وكال الإيمان .

ومفهوم القول : هو الترجمة العملية الصحيحة التى تعبر عما استقر فى القلب مما يعتقد الإنسان ويؤمن به ويخضع لتوجيهه فإن تعارض القول مع الاعتقاد كان الإثم والحرج يقول الحق تبارك وتعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً)(١) .

ومفهوم العمل : هو ذلك العمل النافع المفيد فى طريق الدين والدنيا

---

(١) الايه (٧٠) من سورة الأحزاب .

وذلك فى إطار ما شرع الله ورسوله يقول عز وجل : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين)(١) .
أما إذا اختلف العمل مع القول أو المعتقد كان العمل هباء منثوراً ، فلا اعتداد به ولا ثمرة فيه ولا يرجى الخير منه . . يقول عز من قائل : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون)(٢) ويقول فى شأن الكافرين الذين إختلفت أعمالهم مع أقوالهم ، وساءت عقيدتهم ، وفسدت قلوبهم ، وتحجرت عقولهم وطاشت أفئدتهم (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب)(٣) .

والواجبات الدينية فى عرف الإسلام كثيرة والفروض العينية والكفائية متعددة ، لما ورد فى قوله عليه الصلاة والسلام (الإيمان بضع وستون شعبة ، أعلاها لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) « وفى رواية بضع وسبعون »(٤) .

لكن هذه الواجبات جميعها تعود فى مجملها إلى واجب أساسى تبنى عليه جميع الواجبات ، وتتشعب منه جميع الأمور الشرعية . . ألا وهو : الدعوة إلى الله . . ولما كان هذا الواجب بالغا من الأهمية مبلغا عظيما ، ولا يتحقق الدين فى قلب عبد من عبيد الله إلا إذا تحققت لديه دعائم ثلاث :

(١) الآية (٧٧) من سورة القصص .
(٢) الآيتان (٢ ، ٣) من سورة الصف .
(٣) الآية (٣٩) من سورة النور .
(٤) رواه الشيخان : كتاب الايمان باب فضل لا إله إلا الله ، الترغيب والترهيب ٤ / ٣٤ .

الأولى : الإيمان بالله إيمانا لا يخالطه شك بأن الله موجود موصوف بصفات الكمال ، بعيد عن صفات النقص . .

الثانية : الأمر بالمعروف والائتمار به ، والمعروف هو : كل ما عرفه الشرع وتعارفت عليه العقول السوية . .

الثالثة : النهى عن المنكر بعد الانتهاء عنه ، والمنكر هو : كل ما أنكره الشرع وتنكره كذلك العقول السليمة من الآفات والزيغ والأهواء . .

وقد جمع الدعائم الثلاث قول الحق تبارك وتعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون)(١) .

وحتى يكون الحديث عن هذا الواجب موضوعيا ينبغى أن نتعرض لتوضيح النقاط التالية :

التعريف بالدعوة الإسلامية .
صلتها بالدعوات السابقة .
ثمار الدعوة الإسلامية .
عواقب التخلى عن الدعوة .
الحاجة إلى الدعوة .
اتفاق الدعوة مع الفطرة والسنن الكونية .
ضرورة تبليغ الدعوة .
مصادر الدعوة الإسلامية .
خصائص الدعوة الإسلامية .

---

(١) الآية (١١٠) من سورة آل عمران .

واقعية الدعوة الإسلامية .
الحكم الشرعى لتبليغ الدعوة الإسلامية .
منهج تبليغ الدعوة .
حكم من لم تبلغه الدعوة .
من صفات الدعاة . .

هذا . . ولما وجدت أن الدعوة الإسلامية ، قد تخلى عنها الكثيرون من المسلمين ، تنصلا وادعاء أنها واجب غيرهم !!! أردت أن أكتب كلمة موجزة عن هذا الشأن . آملا أن تكون باعثا لى ولغيرى على الرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - قولا وعملا واعتقادا ، وهو وحده المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

د / زكى محمد أبو سريع
المدرس بقسم أصول الدين بالكلية

التعريف بالدعوة الإسلامية

المراد بالدعوة : دين الله الذى بعث به جميع الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - اكتمل وتم على يد خاتمهم - سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - وهو بهذا صالح لتوجيه الإنسانيه إلى ماينفعها فى الدارين ، وهو باق إلى يوم القيامة وذلك راجع إلى أمرين :

١ - كونه من عند الله رب العالمين .

٢ - صلاحيته لكل زمان ومكان ، بعد مجيئه على يد خاتم الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - وجميع الدعوات السابقة ، تحقق فيها الأمر الاول فقط ، لأنها فى تلك الأزمنة لم تكن قد اكتمل نضجها لتحمل الرسالة كاملة ، أما الدعوة الإسلامية فى صورتها الأخيرة ، فقد جاءت كاملة وصالحة لجميع الأزمنة والأمكنة ، لأن البشرية قد اكتمل فكرها وأصبحت فى حالة تستطيع معها أن تستوعب - بتوفيق الله - ما يوجهه إليها من تعاليم . ولأن المشرع - تباركت أسماؤه - عليم بخلقه ، خبير بما يصلحهم فى الدنيا والآخرة (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)(١) .

تعريف آخر للدعوة الإسلامية :

إنها دين الله الذى ارتضاه للعالمين . تمكينا لخلافتهم وتيسيرا لضرورتهم ، ووفاء بحقوقهم ، ورعاية لشئونهم ، وحماية لوحدتهم ، وتكريما لإنسانيتهم ، وتثبيتا للحق فيما بينهم .

(١) الآية (١٤) من سورة الملك .

(صلة الدعوة الإسلامية بما سبقها من دعوات)

تتبين صلتها بالدعوات من عدة نقاط :

١ - وحدة الأصل : فجميع الدعوات ، تعود إلى المشرع الحقيقي الذي لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء قال تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)(١) .

٢- إتفاقها على التوحيد : فجميع الشرائع على كثرتها وتنوعها ، تبعا لكثرة وتنوع المدعوين ، متفقة على توحيد الله تبارك وتعالى ، داعية إليه ، محذرة من الشرك بشتى صوره .

يقول الحق عز وجل (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)(٢) .

(ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)(٣) .

٣ - علاقة الكل بالجزء المتمم له ، فلا يعقل كمال بدون أجزاء متآلفة متناسقة ، تؤدى إليه . ولا جزء مستقل بنفسه يتصور منه الكمال . قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « مثلى فى النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها ، وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون : لو تم موضع هذه اللبنة ؟ فأنا فى النبيين موضع تلك اللبنة »(٤) .

---

(١) من الاية (٢١٣) من سورة البقرة
(٢) الاية (٢٥) من سورة الأنبياء
(٣) الايتان (٦٥ ، ٦٦) من سورة الزمر
(٤) مسند الإمام أحمد ٢/٣١٢

٤ – الدعوة إلى الوحدة الموضوعية فى الناحية الدينية :

فلا يتم الدين فى قلب الإنسان ، إلا إذا صدق بجميع الدعوات ، وآمن بجميع الأنبياء والمرسلين . ولم يفرق بين أحد منهم فالإيمان كل لايتجزأ يقول عز شأنه :

(إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا)(١) .

(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)(٢) .

(قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)(٣) .

٥ – التكذيب بواحد منهم تكذيب بهم جميعا :

وبعد أن علمنا أن الإيمان كل لا يتجزأ ، وأن التصديق واجب بجميع الأنبياء والمرسلين ، فمن كذب واحداً منهم ، فقد كذب بجميع الأنبياء والمرسلين ، وأنكر رسالاتهم – عليهم الصلاة والسلام – قال تعالى (كذبت قوم نوح المرسلين)(٤) ،(كذبت عاد المرسلين)(٥) ،

(١) الايتان (١٥٠ ، ١٥١) من سورة النساء

(٢) الاية (٢٨٥) من سورة البقرة

(٣) الاية (١٣٦) من السورة السابقة

(٤) الاية (١٠٥) من سورة الشعراء

(٥) الاية (١٢٣) من السورة السابقة

(كذبت ثمود المرسلين)(١) ، (كذبت قوم لوط المرسلين)(٢) ، (كذب أصحاب الأيكة المرسلين)(٣) فكل طائفة من الطوائف السابقة لم تكذب إلا رسولها ، ولكن الله اعتبرهم مكذبين بهم جميعا .

٦ – اتفاق جميع الشرائع على الحرية الدينية :

لم تكن هناك شريعة من الشرائع السماوية ، تكره أحدا على التصديق بها أو اعتناقها . وإنما هى دعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، بالأسوة الحسنة والموعظة المؤثرة والحجة القوية المقنعة ، مع إعطائهم حرية كاملة فى اختيارهم مايشاءون ، قال تعالى : (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى)(٤) ، (لكم دينكم ولى دين)(٥) ، (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)(٦) .

٧ – اتفاق الشرائع على وحدة المصير :

إن الشرائع جميعها ، لم تتوقف بالإنسان أو المكلف عند هذه الحياة الفانية ، وإنما دفعته إلى أن يكون أرقى فكرا ، وأسمى غاية ، حيث دعته إلى الإيمان بأن البعث حق ، وأن المكلفين جميعا لابد أن يقفوا بين يدى رب العالمين ، ليجازى كل جزاء عمله ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وبينت أن الإيمان مقرون بالعمل الصالح للدنيا والآخرة قال تعالى مؤكدا هذا كله :

(والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات

(١) الآيه (١٤١) من سورة الشعراء .
(٢) الآية (١٦٠) من السورة السابقة .
(٣) الآية (١٧٦) من السورة السابقة .
(٤) من الآية (٢٥٦) من سورة البقرة .
(٥) الآية الأخيرة من سورة (الكافرون) .
(٦) من الآية (٢٩) من سورة الكهف .

وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)«١» (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينابها وكفى بنا حاسبين)«٢» .

« وما هـذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون)«٣» ، (وقالوا يا ويلتنا مال هـذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحدا »«٤» .

(يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)«٥» .

٨ — مطالبة الشرائع بالتعاون الخلاق :

اختار الله تبارك وتعالى الإنسان ، ليكون عنه خليفة فى الأرض ، يقيم العدل والمحبة ، وينشر السلام عن طريق الإيمان بوحدة الأصل والعمل والغاية . ولا يتحقق ذلك إلا بتسخير وتوجيه كل الإمكانات المتاحة ، والتوجيه السليم الهادف إلى خيرى الدارين . وطريق ذلك: أن أمرهم بالنظر والتأمل والتفكر ، وهذا السبيل ، يتيح للإنسانية كلها أن تتعاون وتتآخى وتتوافد عـلى دراسة آيات الله فى الآفاق وفى الأنفس ، ثم ترحل إلى الله وقد تركت خلفها ثمار فكرها لمن يأتى بعدها حتى يكمل مسيرة الخلافة إلى يوم الجزاء ..

---

(١) سورة العصر بتمامها
(٢) الاية (٤٧) من سورة الانبياء .
(٣) الاية (٦٤) من سورة العنكبوت .
(٤) الاية (٤٩) من سورة الكهف .
(٥) الايات الثلاث الاخيرة من سورة الزلزلة

٩ ـ محاربة الأهواء والشهوات :

فمن الناس من يعترف بالدين ، لكنه يفتته وفقا لشهواته ، ويفرق غايته طبقا لأهوائه . هؤلاء مضلون مبتعدون عن جادة المنهج الإلهى القويم قال تعالى :

(وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)«١» .

(إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون)«٢» .

١٠ ـ محاربة السفه والمنطق العقلى المنحرف :

إن العقل السوى ، يصدق بأن الكون والمخلوقات جميعها ، تعود إلى خالق واحد ، متصف بما يليق بكماله ، منزه عما لايناسب جلاله وكبريائه ، مع المخالفة لما عليه المخلوق من صفات قال عز شأنه (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)«٣» .

(لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)«٤» .

ورد على اليهود والنصارى حينما أهملوا عقولهم وسفهوا أحلامهم فوصفوا الإله الحق بصفات لا تناسب الذات المقدسة حيث قالوا كما حكى القرآن عنهم :(وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون)«٥» ، وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا

(١) من الاية (١٥٣) من سورة الأنعام
(٢) الاية (١٥٩) من السورة السابقة
(٣) من الاية (١١) من سورة الشورى
(٤) الاية (١٠٣) من سورة الأنعام
(٥) الاية (٣٠) من سورة التوبة

بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)«١» « لقد كفرو الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم)«٢» .

(لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد)«٣» .

بل لقد تبرأ المسيح نفسه مما زعمه اليهود والنصارى حينما ألهوه من دون الله ، وذلك فيما حكاه القرآن عنه حيث يقول : (وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)«٥» .

١١ - تحريم الشرائع للتفرقة العنصرية :

فجميع الخلق يرجعون إلى أصل واحد ، مهما تعددت أجناسهم وألوانهم وأوطانهم ولغاتهم ، فإذا لم يستجيبوا لداعى الدين ، فلا أقل من أن يستجيبوا لداعى الأصل الواحد فى النشأة . يقول ربنا فى كتابه العزيز (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل

---

(١) من الاية (٦٤) من سورة المائدة

(٢) من الاية (٧٢) من السورة السابقة

(٣) الايتان (١٨١ ، ١٨٢) من سورة آل عمران

(٤) الايات من (١١٦ - ١١٨) من سورة المائدة

لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)«١» .

وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (خلقت الملائكة من نور، وخلق إبليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)«٢» .

﴿ ثمار الدعوة الإسلامية ﴾

إن الله — جلت قدرته — لم يخلق شيئا فى الوجود عبثا ولم ينزل شريعته بدون حكمه، ولم يترك الحياة تسير هملا . بل كل شىء فى الوجود منوطة به حكمته وأسراره . ومن المعلوم أن الإنسان ماجىء به فى هذا الكون إلا للعبادة بمفهومها الواسع التى تجعل كل حدث أو عمل إن كان خيرا فلله، وإن كان شرا فتركه لله . وهذا لا يتم على هذا النحو إلا بقيام الدعوة الإسلامية كما ينبغى لها أن تكون . وقد علمنا أن الركائز التى تبنى عليها الدعوة ثلاث :

ا — الإيمان بالله . ب - الأمر بالمعروف

جـ — النهى عن المنكر .

ومن تحققت فيه الدعائم الثلاث السابقة: اكتمل إيمانه، وصدق يقينه، وصلحت سريرته، واستقامت علانيته . وما استحقت أمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - الثناء والمدح من رب العالمين إلا بتحقيق هذه الدعائم عندها :

يقول الله تعالى : (كنتم خـــير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب

(١) الآية (١٣) من سورة الحجرات .
(٢) مسلم كتاب الزهد ٨ / ٢٢٦ ، المسند ٦ / ١٥٤.

لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون)«١» .

والأمر لم يتوقف عند الاستحسان العقلى ، أو التطوع الشرعى . بل أمر الله به فى كتابه العزيز حيث قال : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)«٢» .

وإذا تخلى الناس عن هذا الواجب ، جعله الله فرضا على الأمة فى مجموعها . قال عز وجل : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)«٣» . وقد أكد النبى - صلى الله عليه وسلم - هذا الواجب حيث قال : (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)«٤» .

وهناك منزلة عالية ، ودرجة عظيمة ، وثواب كثير ينتظر أولئكم الذين شرحت صدورهم للإيمان ، واعتزت بأركان الإسلام ، وسعت جاهدة فى نشر كلمة الله والدعوة إليها فى العالمين ، هذا العطاء ، لا يكاد يصدقه عقل أو يوقن به بشر إلا بعد سماعه من الصادق المصدوق - صلوات الله وسلامه عليه - (.. بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع العوام . فإن من ورائكم أياما ، الصابر فيهن مثل القابض على الجمر ، للعامل فيهن مثل

---

(١) الاية (١١٠) من سورة آل عمران
(٢) الاية (١٠٤) من السورة السابقة .
(٣) الاية (١٢٢) من سورة التوبة .
(٤) صحيح مسلم : ١ / ٥١ .

أجر خمسين رجل يعملون كعملكم قيل يا رسول الله : أجر خمسين رجلا منا أومنهم ؟ قال : « بل أجر خمسين منكم »«١» . ومارواه الإمام أحمد - رحمه الله - أن رجلا قام إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو على المنبر فقال يا رسول الله : أى الناس خير ؟ قال : (خير الناس أقواهم وأتقاهم لله ، وآمرهم بالمعروف ، وأنهاهم عن المنكر ، وأوصلهم للرحم)«٢» .

﴿ عواقب التخلى عن الدعوة ﴾

إن ترك الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، من الكبائر التى حذرنا منها ديننا الحنيف أشد التحذير . ذلك أننا إن تخلينا عن الدعوة إلى الله عز وجل انطمست معالم الحق واستعلى الباطل إلى حين ، واختلط الخير بالشر . وأصبحت الحياة جحيما لا يطاق ، وظلاما دامساً إذا أخرج الإنسان يده لم يكد يراها « ومن يجعل الله له نورا فما له من نور)«٣» .

وقد بين القرآن الكريم السبب الرئيسى فى إحلال اللعنة ببنى إسرائيل ، ذلك أنهم تخلوا عن واجب الدعوة إلى ربهم حيث قال: « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)«٤» . وفى نفس المعنى يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - (والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن

---

(١) تحفة الأحوذى ٨ / ٤٢٣
(٢) المسند ٦ / ٤٣٢
(٣) من الاية (٤٠) من سورة النور
(٤) الآيتا (٧٨ ، ٧٩) من سورة المائدة

على يد المسيء ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض أو ليلعنكم كما لعنهم)«١» .

وفي ترك هذا الواجب ، إغلاق لباب إجابة الدعاء ، يقول عليه الصلاة والسلام : (والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهن عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم)«٢» .

وقد تخلى أناس كثيرون عن تلك الفريضة ، استنادا إلى فهم سطحى لقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم)«٣» . فقد قام أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية : (يا ايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) ، وإنكم تضعونها على غير موضعها ، وأنى سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : (إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه)«٤» .

وهناك حالات خاصة يعذر الإنسان فيها إذا ترك تلك الفريضة ، وذلك إذا ما أخلص فى أدائه لها ، ولم يجد لذلك ثمرة . بل وجد إعراضا وصدودا وتحديا وذلك ناشىء عن أمراض النفوس وعلل القلوب حجابا يحول بينها وبين الإذعان والامتثال يقول الحق سبحانه وتعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)«٥»

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣ / ١٥٢
(٢) مسند الإمام أحمد ٥ / ٣٨٨
(٣) من الاية (١٠٥) من سورة المائدة
(٤) المسند ١ - ٥ ، أبو داود ص ٤٣٢٨
(٥) الاية (١٤) من سورة المطففين

على يد المسيء ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض أو ليلعنكم كما لعنهم)«١» .

وفى ترك هذا الواجب ، إغلاق لباب إجابة الدعاء ، يقول عليه الصلاة والسلام : (والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهن عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلايستجيب لكم)«٢» .

وقد تخلى أناس كثيرون عن تلك الفريضة ، استنادا إلى فهم سطحى لقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم)«٣» . فقد قام أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية : (يا ايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) ، وإنكم تضعونها على غير موضعها ، وأنى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه)«٤» .

وهناك حالات خاصة يعذر الإنسان فيها إذا ترك تلك الفريضة ، وذلك إذا ماأخلص فى أدائه لها ، ولم يجد لذلك ثمرة . بل وجد إعراضا وصدودا وتحديا وذلك ناشيء عن أمراض النفوس وعلل القلوب حجابا يحول بينها وبين الإذعان والامتثال يقول الحق سبحانه وتعالى (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون)«٥»

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣ / ١٥٢

(٢) مسند الإمام أحمد ٥ / ٣٨٨

(٣) من الآية (١٠٥) من سورة المائدة

(٤) المسند ١ - ٥ ، أبو داود ص ٤٣٣٨

(٥) الآية (١٤) من سورة المطففين

وقوله عليه الصلاة والسلام .. (بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحا مطاعاً ، وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ، ودع العوام فإن من ورائكم أياما ، الصابر فيهن مثل القابض على الجمر ..) الحديث(١) .

﴿ الحاجة إلى الدعوة ﴾

إن الدعوة إلى طريق ذى الجلال والإكرام ، بمثابة انتشال الإنسان الحائر من دياجير الظلام إلى أرحب آفاق النور والضياء ! ومن دجى الليل وغسقه إلى ضياء الشمس فى وضح للنهار ! ! ونقله له من حياة الحيوانية الشرسة ، إلى حياة الإنسانية السامية بفكرها الناضجة بعقلها، المتعلقة بأسباب باسط الأرض ورافع السماء ! ! ! ومن حياة التكليف والتعب والنصب ، إلى حياة الجزاء .. إما نعيم أبدى مقيم ، وأما عذاب دائم أليم ! ! ! .

وحتى يتأكد لنا مدى حاجة البشرية إلى الدعوة ينبغى لنا معرفة النقاط التالية :

١ – هل يمكن للبشرية أن تحيا آمنة بدونها ؟ .
٢ – هل أوفت النظم البشرية بحاجة الإنسانية ؟
٣ – التجربة والواقع يثبتان حاجة الناس إلى الدعوة .

١ – لقد أكد التاريخ وأثبت الواقع ، أن الإنسان لايستطيع أن يحيا آمنا بدون حام يحميه ، أوموجه يوجهه من نزعات الشر إلى هاتف الخير وآفاق الوجدان والضمير . ومن الضلالة إلى سبل الهداية . ولا بد

---

(٦) تحفة الأحوذى : تفسير سورة المائدة ٨ / ٤٢٣

له من جهة يحتكم إليها إذا ما ظلمه آخر ، أو اعترض طريق حياته حتى تجرى على نسق رتيب . وغير هذا فإن الإنسان لا يعرف بمفرده ما ينفعه وما يضره ، حتى يفعل هذا ويتحاشى ذاك . ومن الذى يتولاه إذا ما نزل به ضر ، أو أصابته حاجة أو ألمت به نائبة ؟ ! ! ومن الذى ينظم له حياته الخاصة فضلا عن العامة ، فيمده بما يحتاج إليه جسمه من غذاء أو شهيق أو زفير . بل وينظم للقلب دقاته وإمداداته ؟ ! ! إن هذا كله لن يتم من الإنسان نفسه ، ولكن لا بد له من جهة عليا تملك هذا كله وغيره ، مما لا يدخل تحت الحصر أو يحيط به العد أو الوصف . وهذه الجهة ممثلة فى الكبير المتعال ..

ولما كان اتصال الحق - تبارك وتعالى - بالبشر العاديين وحيا وتشريعا ، وغير ذلك مما هو متصل به متمم له محالا . لذا فإن الله - عز وجل - أرسل الأنبياء والمرسلين ، وأمرهم بالدعوة إليه . معلمين الناس جميعا ، أن مصدر النفع والضر . والخير والشر ، والإعطاء والحرمان ، والحياة والموت ، هو الله رب العالمين . يقول عز شأنه : (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)«١» . (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم)«٢» . (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور)«٣» .

وأمرهم أن يبينوا لهم أن الحياة لا تنتهى سدى ، ولا يكون مصير

---

(١) الاية (٥١) من سورة التوبة .
(٢) الاية (١٠٧) من سورة يونس .
(٣) الايتان (١ ، ٢) من سورة الملك .

الخلق إلى العدم والفناء ، فيستوى الظالم بالمظلوم ، والصالح بالطالح . بل إن هناك ميعاداً ينتظر الجميع ، ليقض الله فيه بين الخلائق . وهذا من مقتضى الحكمة الإلهية . قال تعالى : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)«١» . (ونضع الموازين القسط ليوم القيـــامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)«٢» .

ولا يملأ حياة الإنسان أمناً وطمأنينة إلا إذا كان عارفا بقصة الحياة الدنيا ، وما مصيرها ؟ ولماذا خلقنا عليها ؟ وكان عارفا بقصة الآخرة وأن المنطق والعقل يحكمان بصحة الشرع فيما ذهب إليه فى شأنها . ومن هنا ، يكتفى بالضرورى من أساسيات الحياة . غير عابىء بما زاد على ذلك وقد صدق النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث صور لنا الحياة ، مبينا السعادة الحقيقية فيها فى عرف الإسلام ، إذ يقول : « من أصبح آمنا فى سربه ، معافى فى بدنه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها)«٣» ، وهو القائل : « ليس الغنى عن كثرة العرض ، إنما الغنى غنى النفس)«٤» .

وكم من أناس انقطعت صلتهم بالله خالقهم ، وظنوا أن الحياة الدنيا ستقف بهم عند غاياتهم ، وأن أموالهم وبنيهم ستنفعهم . وما هى إلا عشية أو ضحاها ، إذ تبدد أمنهم خوفا ، وسكونهم اضطرابا ، وغناهم

---

(١) الاية (١٠٥) من سورة التوبة
(٢) الاية (٤٧) من سورة الأنبياء
(٣) بمعناه ، الترغيب والترهيب ٤ / ٩٨
(٤) تفسير القران العظيم ٨ / ٤٤٩

المزعوم فقرا ، وأملهم المديد سرابا . (وبدا لهم من الله ما لم يـكونوا يحتسبون)«١» .

٢ ـ هل أوفت النظم البشرية بحاجة الانسانية؟

هناك قوتان خفيتان تتجاذبان الانسان فى الخفاء ولا يراهما بعينى رأسه . ولـكنه يشعر بآثارهما كما نشاهد آثار الكهرباء ولا نراها . هاتان القوتان هما :

الروح ، والنفس . فالأولى : تدفع صاحبها إلى طرق الخير ، ويؤيدها العقل والقلب والضمير الحى . وكل هذا بتوجيه الشرع الحكيم . ولا بد أن تكون نتائجها حقيقية فى واقعها صادقة فى خيرها ، بعيدة عن الزلل معصومة بعصمة خالقها ، ولا عجب فى ذلك ، فالأمر سهل والخطب هين . لأن المشرع يعلم ما ظهر وما بطن يقول الحق عز وجل :

(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)«٢» . أما الثانية : وهى (النفس) فهى مائلة إلى الشر ، دافعة صاحبها إليه . فطبيعتها تقتضى ذلك (وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم)«٣» .

وقد تغلبت القوة النفسية على القوة الروحية ، بعد أن تخلى المسلمون عن دينهم وعن اتباع تعاليمه . فانتزع القيادة من أيديهم ، من لا يقر بوحدانية الله الحق . وأخذ ثمرة البشرية (أى فكرها) فى أجيالها المتعاقبة ، وسخر هذا كله لأذى الانسانية ، وتدمير ما تبقى فى عالم الدين

(١) من الاية (٤٧) من سورة الزمر
(٢) الاية (١٤) من سورة الملك
(٣) الاية (٥٢) من سورة يوسف

من أخلاق . فاتخذ القوانين الوضعية عن الدين بديلا ، فى كثير من مناجى الحياة . ومهما تقدمت البشرية فى العلم التكنولوجى ، فإنها عائدة إلى الوراء عما قريب ، طالما أن هذا التقدم لم يحيطوه بما يحفظ عليه بقاءه ، ويوجهه الوجهة السلمية ألا وهو الدين بمعناه الأعم ، الأخلاق بمعناه الأخص .

ويتزعم العالم الآن – فى كفتى التقدم العلمى – إتجاهان :

أحدهما : الاتجاه الرأسمالى .

وثانيهما : الاتجاه الشيوعى الالحادى . وكلاهما بعيد عن منهج الدين وكال الأخلاق !!!

فهما كمثل الذى يتخبطه الشيطان من المس . وكل ماسنته البشرية من قوانين تخالف الدين الحق ، لم تحقق نجاحا ولم تضمن للبشرية الأمان . وكم تركت فيهامن ثغرات ومداخل ، لم يتفطنوا لها إلا بعد وقوع الكثيرين لها ضحايا . سواء أكانت تلك الثغرات مقصودة ، وهذا متوقع منهم . أو كانت نتيجة جهل الواضع للقانون . وهذا شيء طبيعى ونتيجة لازمة ، بعد أن علمنا أن المشرع لهم بشر ، يخطيء ويصيب ولا يعلم ما يصلح النفوس ، وفاقد الشيء لا يعطيه .

فكم من نعم سخرها الله لنا فى هذا الكون الرحيب ، وجهها الانسان الوجهة الذميمة ، وحولها إلى نقم وويلات ودمار ، بعد أن ترك دينه واتبع هواه ، وحارب الأخلاق وسخر منها وزعم أنها رمز التلخف . وهنا يرد عليهم القرآن الكريم : (سيعلمون غدا من الكذاب الأشر)«١» .

(١) الاية (٢٦) من سورة القمر .

والأمر الذى لامناص منه لضمان سير الانسانية فى طريقها الصحيح، أن تعرض كل شيء على قوانين السماء . فما وافق الدين قبل وحافظ الناس عليه ، وما عارضه اجتنب ، وإلا تحولت البشرية فى حياتها إلى جحيم لا يطاق ، أكثر مما هي عليه الآن .

٣ ــ التجربة والواقع يثبتان حاجة الناس إلى الدعوة :

ومن خلال الواقع المشاهد ، تثبت لنا التجارب التى قدمها الإنسان لبنى جنسه ، أنها بديل عاجز لا يحل محل الدين فى أى صورة من صور الحياة . فكم كانت حالات الجرائم والقتل والسرقات .. إلخ ، بعد أن توقفت أو كادت تعاليم السماء . هذه الحالات كانت تعد على أصابع اليد الواحدة أيام الخلافة الراشدة . وكلما حاولوا معالجة ثغرة من ثغرات القوانين الوضعية ، ظهرت لهم ثغرات جـــديدة ليس عندهم الأمل فى علاجها ، وهذا شيء حتمى كما أن الفرق شاسع بين المخلوق والخلاق العليم !

وعجيب أمر الإنسان .. لقد طغى وتجبر ، وعاند وتكبر . فبالعلم وصل إلى ما وصل إليه ، ولـكنه نسى الذى وهبه كل شيء وأحسن الوجود صنعا . وهذا شيء فى جبلة الإنسان (إلا مارحم ربى) . إذا ماأحاطت به نائبة أو اقترب منه الضر ، لجأ إلى مولاه ملجأ كل شيء فى التضرع والإنابة . وإذا كشف الله عنه ذلك . أخذته العزة بالإثم وتنكر لـكل معروف . وإلى هاتين الحالتين يشير القرآن الـكريم مبينا هذا المسلك الشائن والمنهج العقيم حيث يقول : (وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون)(١) (ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم

---

(١) الاية (١٢) من سورة يونس .

نزعناها منه إنه ليئوس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى إنه لفرح فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير)«١» .

إن الأمن ميسور ، والغنى متحقق ، والسعادة مرجوة لو عادت البشرية إلى خالقها ومانحها الحياة . ولكنها أبت إلا الجحود والتنكر لخالق الأكوان ، فكانت عاقبة أمرها خسرا . لقد سئم الناس محاولة الإصلاح ، لأن الأهواء قد غلبتهم ، وأصبحوا عبيد العلم والمخترعات . وإن كان هناك خيط من أمل ، كالنور يسرى فى جنح الليل البهيم . وقد اقترب الفجر بأنواره وأسراره وآماله ، منذرا بإنتهاء عصر الباطل واندكاك معالمه وإن طال عليه الزمان .. ولكن لا بد من الرجوع إلى الدين الحنيف قولا وعملا واعتقادا (لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا)«٢» .

﴿ إتفاق الدعوة مع الفطرة والسنن الكونية ﴾

المراد بالفطرة : الطبيعة التى خلق الله الانسان عليها ، وجعله مهيأ لسلوك الطريقين : (وهديناه النجدين)«٣» .

ولما كان الانسان مستعدا لسلوك أحد الطريقين ، فهو فى حاجة إلى من يرجح له طريقا على آخر . وفى الوقت نفسه . هو فى حاجة إلى جهة عليا تحقق له مطالبه وتلبى رغباته ، ويلجأ إليها فى وقت الإضطرار . عالما مؤمنا بأنها مصدر الأمور جميعا . ولما كان الدين نزعة فطرية أوجدها الله مع الانسان . لذا لم نجد جماعة قط بغير دين .

---

(١) الآيات من (٩ - ١١) من سورة هود .
(٢) من الآية (١) من سورة الطلاق .
(٣) الآية (١٣) من سورة البلد .

سواء أكانت مستقيمة فى تدينها ، أو حادت به عن الطريق المستقيم . ومن هنا كان الدين ضرورة حتمية استجابة لهذه النزعة .

وما نراه من تعلق الانسان فى كثير من الأحيان بحجر أو بشر ، أو بشيء من مظاهر الطبيعة ما هو إلا انعطاف الانسان إلى القوة العليا المشار إليها آنفا : واستجابة للطبيعة التى تأبى إلا أن تظهر ولاءها لشيء تكبره وتخشع له . على أن الانسانية فى استجابتها لهذه النزعة قد تضل طريقها فتخشع أمام شجر وحجر ، أوشمس وقمر وترى فى ذلك ارضاء لنزعتها وإجابة لدعوتها . وقد تهتدى إلى الحق فتكشف بذلك عن خصائص إنسانيتها ، وسلامة فطرتها ، فتحيا للخير وتعمل له . راجية ربها مطمئنة بسعيها . آخذة دائما بأسباب الترقى إلى الله الذى آمنت به . وكلما ارتقت اتسع أمامها مجال الخير ، وأسعدها اطمئنان القلب .

على أن الله ـ جلت قدرته ـ لم يترك الناس ينحرفون بفطرتهم فيهيمون بين خلائق الأرض يطلبونها لشفاعة السماء . بل هداهم إلى استقامة الفطرة ، وأرشدهم إلى سلامتها، فحولهم بهذا من التدنى والسقوط إلى العلو والصعود . فلم ينحصروا فى دائرة الأرض وإن عمروها ، بل ربطوا بينها وبين قدرة السماء وقد لمسوها . فانطلقت الهمم بارة راشدة تربط بين كيانها هنا ومصيرها هناك . فانفتح باب الخير واتسع سبيله ،وعملت الفطرة فى مجالها الطبيعى لامقطوعة ولاممنوعة ، بل موصولة كل آن وحين . تناجى ربها وتناديه ، وتسعد بقربه منها فترغب فيه . فاستبان لها حينئذ خضوع كل شيء لقدرته واستجابته لعظمته .

أما وقد استبان للفطرة سبيلها السوى ، على يد أول إنسان وهو

أول نبي ، فقد أوجب ن ندرك أن عناية الله أدركت الإنسان من بدايته ، وهي ترعاه وتحوطه إلى نهايته .

إن الانعطاف إلى التدين لم يختص به إنسان دون آخر ، وبهذا أمكن الانسانية أن تتوارث معارفها ، ويقتضى بعضها أثر بعض . فلا ينفصل سابق عن لاحق وقد جمعتهم ألفطرة المشتركة بينهم ، ووضعت فيهم السنة الخالدة التى لن نجد لها تبديلا ولن نجد لها تحويلا .

ونتيجة لهذا الاتساق العجيب ، يمكننا أن نقرر : أن مابين الإنسانية اليوم من حضارة مادية ومعنوية ، لم يكن عمل جيل من الأجيال أو أمة من الأمم ، بل هو عمل الأجيال كلها ممثلا فى الفطرة الهادية والمعرفة الراشدة ، من لدن آدم إلى يومنا هذا .

ولا يمكن فى تقدير العقلاء أن يفصل بين الجانب المادى والمعنوى ، فلم يكن هذا الفصل فى طبيعة الخلق ، حتى يمكن تحقيقه فى مجال الفكر والسلوك . فالايمان بالجانب المادي وحده ، نزول بالانسان إلى مراتع الهلكة . والايمان بالجانب المعنوى فقط مخالفة للفطرة ومنافاة للطبيعة . إنهما مخلوقان لخالق واحد ، يشهد أن للقدرة الالهية ، وهى تمنح سرها صلصا لامن حمأ مسنون ليكون إنسانا بروح وجسد .

إن الفطرة التى نقصدها : هى الفطرة المتكاملة التى يظهر عمل الروح فيها .. لا الفطرة التى يدعيها العبيد !!! هذه الفطرة على هذا النحو ، هى التى لازمت الانسان من بداية أمره إلى أن تنتهى الحياة والأحياء على هذه الأرض :

إن الله - جلت قدرته - لم يترك الناس ينحرفون بفطرتهم .. فقد بدأ الظهور من منبعه الأصيل ، وينساب بقدر ما تقضى به الضرورة

وتدعوا إليه الحاجة . كذلك رسالات الله منبعها واحد ، تظهر هنا وهناك ، وتمتد بامتداد الخلق وتمضي مع نموه وتدرجه . كما أنها متفقة مع السنن الكونية ، بحيث أنها لم تتعارض مع حقائق العلم المتجددة . فهكذا سايرت الدعوة الفطرة تأخذ بيدها كلما ابتعدت عن جادة الطريق .

(ضرورة تبليغ الدعوة)

إذا كان الإنسان مأمورا بطاعة خالقه ، فمن الجدير أن يكون الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشد طاعة وأسرع إلى تنفيذ ما أمر به العلي الخبير .. فهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ أشد الناس معرفة بربه ، ويعلم يقينا أن لكل أمر حكمة ، ولكل نهي سر . وإن غاب علم ذلك عنا فرده إلى علام الغيوب .

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لما نزلت هذه الآية : (وأنذر عشيرتك الأقربين) صعد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الصفا فجعل ينادي : يا بني فهر ، يا بني عدي ـ لبطون قريش ـ حتى اجتمعوا ، فجعل الذي لم يستطع أن يخرج ، يرسل رسولا لينظر ما هو ؟ فجاء أبو لهب وقريش ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا . قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ فنزل قوله تعالى : (تبت يدا أبي لهب وتب)(١) .

ولما كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو القدوة الحسنة ، والأسوة الصالحة ، لم يبلغ فريقا دون بقية الذين أرسل إليهم . وإنما قام بتبليغ

---

(١) صحيح البخاري ٨ / ٤٠ ، صحيح مسلم ١ / ١٣٤ .

رسالة ربه للجميع . لافرق بين قريب أو بعيد ، أو غنى أو فقير . فعن أبى هريرة قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين أنزل الله عليه (وأنذر عشيرتك الأقربين) فقال : يا معشر قريش : اشتروا أنفسكم ، لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يابنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب : لا أغنى عنك من الله شيئا . يا صفية عمة رسول الله ، لا أغنى عنك من الله شيئا . يا فاطمة بنت رسول الله ، سليني ماشئت من مالى ، لا أغنى عنك من الله شيئاً(١) .

وهذا النداء المدوى ، قمة البلاغ ، فقد واجه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قومه بدعوته . وبين لأقرب الناس إليـــه ، أن التصديق بهذه الدعوة هو أساس الصلة بينه و بينهم . وأن حمية العرب التى كانت سائدة آنذاك قد انتهى عهدها وأن الصلة فيما بعد أساسها التقوى .

كان محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كبير المنزلة فى مكة ، مرموقا بالثقة والمحبة إذ يحبه العدو والصديق . فإذا به يواجه أهل مكة بما يكرهون ، ويخاصم وجهاءها وسفهاءها ، ويغامر بمحبتهم ومودتهم . لكن جميع مايحدث فى الكون من قلاقل ، سهل وهين أمام رضوان الله وسعة رحمته وصحيح عقيدته . فما عليه من بأس بعد ذلك ، إذا وجد مكة ومن والاها ، أعلنت حربا عليه وعلى دعوته . لأنها ترى أن مكانتها الوثنية والإجتماعية مهددة بهذه الدعوة(٢) .

وبدأت قريش تسعى وطريقها طريق العناد واللدد ومجانبة الحق والصواب . وبدأ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حياة الكفاح وتحمل العناد والتحدي من قريش ومن والاها ، مبنياً آثار الوثنية الوخيمة فى

(١) صحيح البخارى ٨ / ٤٠٨ صحيح مسلم ١ / ١٣٥ .
(٢) فقه السيرة للشيخ الغزالى ط . دار الكتب الحديثة ص ١٠٤ .

الدين والدنيا . ولم ييأس الرسول - صلى الله عليه وسلم - من هذه المواجهة المحزنة، بل جدد المحاولات لأنه إن ظفر بإسلام قومه وعشيرته الأقربين ، كان ذلك دافعاً لكثير من القبائل إلى الإسلام . فهم ذوى الوجاهة والعزة والسلطان فى نظرهم . فضلا عما أودع فى جبلة الآدميين من محبة الإنسان الخير لأهله وذويه وكراهية الشر لهم . روى ابن الأثير : قال جعفر بن عبد الله بن أبى الحكم : لما أنزل الله على رسوله : (وأنذر عشيرتك الأقربين) أشتد ذلك عليه ، وضاق به ذرعا ، فجلس فى بيته كالمريض . فأتته عماته يعدنه فقال : (ما اشتكيت شيئا ، ولكن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى) فقلن له : (فادعهم ، ولا تدع أبا لهب فإنه غير مجيبك) فدعاهم فحضروا ومعهم نفر من بنى المطلب بن عبد مناف ، فكانوا خمسة وأربعين رجلا ، فبادره أبو لهب وقال : (هؤلاء هم عمومتك وبنو عمك فتكلم ودع الصباة . واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة . وأنا أحق من أخذك فحسبك بنو أبيك . وإن أقمت على ما أنت عليه ، فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش وتمدهم العرب فما رأيت أحد جاء على بنى أبيه بشر مما جئتهم به)

فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يتكلم فى ذلك المجلس ، ثم دعاهم ثانية وقال : (الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأؤمن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ثم قال : إن الرائد لا يكذب أهله . والله الذى لا إله إلا هو إنى رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة . والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ، وإنها للجنة أو النار أبدا)

فقال أبو طالب : ما أحب إلينا معاونتك ، وأقبلنا لنصيحتك ، وأشد تصديقنا لحديثك !!! وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون ، وإنما أنا

أحدهم ، غير أنى أسرعهم إلى ما تحب ، فامض إلى ما أمرت به ، فوالله لاأزال أحوطك وأمنعك ، غير أن نفسى لاتطاوعنى على فراق دين عبد المطلب ، فقال أبو لهب هذه والله السوأة !!! خذوا على يديه قبل أن يأخذكم غيركم ، فقال أبو طالب : والله لنمنعنه ما بقينا(١)

جاء فى الصحيحين عن مسروق عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : من حدثك أن محمدا كتم شيئا مما أنزل عليه فقد كذب ، وهو يقول : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) الآية(٢) ، وقالت - رضى الله عنها - لو كان محمد - صلى الله عليه وسلم - كاتما شيئا من القرآن لكتم هذه الآية : (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)(٣) . وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال فى خطبته يوم حجة الوداع : (يا أيها الناس إنكم مسئولون عنى فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت . فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكسها إليهم ويقول (اللهم هل بلغت)(٤) .

﴿ضرورة التبليغ على العلماء﴾

الأنبياء والمرسلون حياتهم موقوفة بآجالهم كأى كائن حى (لكل أجل كتاب (٥)) فإذا انقضت آجالهم ورحلوا عن هذه الدار الى الرفيق الأعلى قام بمهمة التبليغ للدعوة بعدهم العلماء العاملون بعلمهم . وقد وعدهم

(١) فقه السيرة محمد الغزالى ط . دار الكتب الحديثة ص ١٠٥
(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير ٦ - ٦٦ .
(٣) صحيح البخارى كتاب التوحيد ٩ / ١٥٢ ، مسلم ١ / ١١٠ .
(٤) صحيح مسلم كتاب الحج ٤ / ٤١ .
(٥) من الاية (٣٨) من سورة الرعد .

الحق - تبارك وتعالى - على ذلك أجرا عظيما، ان هم وفوا بحقوق الدعوة عليهم، يقول عز شأنه: (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين)(١).

ولم يتوقف بهم عند هذا الحد، بل حذرهم من عاقبة التقصير فى تلك المهمة الدينية العظيمة وبين العقاب الشديد الذى ينتظرهم إن لم يقوموا بهذا الواجب. قال تعالى: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)(٢) وقوله عليه الصلاة والسلام (من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار)(٣).

وقد فهم هذا جيداً أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يكتموا علما تعلموه من النبي - عليه الصلاة والسلام - يؤكد ذلك سيدنا أبو هريرة - رضى الله عنه - حيث قال: (لولا آية فى كتاب الله ما حدثت أحداً شيئاً (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى...)(٤).

﴿ مصادر الدعوة الإسلامية ﴾

لكل دعوة من الدعوات مصادر وأسس تستقى منها أدلتها وأحكامها حتى تحوز هذه الدعوات القبول عند المدعوين وإلا كانت زائلة بزوال نطق أصحابها ولا تترك عند السامعين أثراً. أما الدعوة الإسلامية فقد

---

(١) الآية (٣٣) من سورة فصلت.
(٢) الآية (١٥٩) من سورة البقرة.
(٣) تفسير القرآن العظيم ١ / ٢٨٨.
(٤) المرجع السابق.

كان لها الحظ الأوفى والنصيب الأسمى من حيث المصادر التى ترتكز عليها تلك الدعوة :

(أ) القرآن الكريم :

أنزل الله القرآن على عبده ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - ليكون دستوراً شاملا لتوجيه المكلفين إلى سعادة الدارين . بحيث لا تخلو جوانب حياتهم - مع تشعبها - مما يؤيدها فى صوابها ويبصرها بأهدافها إذا ما اختلطت عليها الأمور . يقول الحق تبارك وتعالى : (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين(١) . وهو منزه عن كل باطل أو قصور أو انحراف عن جادة الطريق التى هى أقوم . قال تعالى : (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً) (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)(٢) (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير(٣) .

روى الترمذى بسنده عن الحارث الأعور قال : مررت فى المسجد، فإذا الناس يخوضون فى أحاديث فدخلت على على فقلت : يا أمير المؤمنين ، ألا ترى الناس قد خاضوا فى الأحاديث ؟ قال: أو قد فعلوها؟ قلت : نعم ، قال : أما إنى قد سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (إنها ستكون فتنة) . فقلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : (كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ،

---

(١) من الاية (٨٩) من سورة النحل .
(٢) من الاية (٤١ ، ٤٢) من سورة فصلت .
(٣) من الاية الأولى من سورة هود .

هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله . ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين . وهو الذكر الحكيم . وهو الصراط المستقيم . هو الذى لا تزيغ به الأهواء ؛ ولا تلتبس به الألسنة . ولا يشبع منـــه العلماء . ولا يخلق عن كثرة الرد . ولا تنقضى عجائبه . هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : (إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به) من قال به صدق ؛ ومن عمل به أجر ـ ومن حكم به عدل ـ ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم »(١) .

(ب) السنة النبوية :

يظن كثير من الناس أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أتى بالسنة من قبل نفسه استقلالا . والمتمعن فى الآيات القـــرآنية والأحاديث النبوية يدرك يقيناً أنها من نفس المصدر التى أتى منه القرآن الكريم يقول تعالى : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى)(٢) (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين (٣) (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) (٤) .

وعن عبدالله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أريد حفظه ، فنهتنى قريش فقالوا : إنك تكتب كل شىء تسمعه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورسول الله بشر

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٧ ـ ٣٤ ط بيروت.

يتكلم فى الغضب ، فامسكت عن الكتاب . فذكرت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : (أكتب فوالذى نفس بيده ما خرج منى إلا الحق)(١) .

ج - أثار السلف الصالح : والسلف الصالح ؛ من الصحابة وغيرهم ، يقتفى أثرهم فهم الذين تربوا على يد النبى صلى الله عليه وسلم واستطاعوا أن يفهموا الوحى فهما صحيحاً من بيت النبوة . فكل ما وصل إلينا عن طريقهم ، إما أن يكون نصاً أو اجتهاداً ، فإن كان نصاً فهو راجع إلى القرآن والسنة ، وإن كان اجتهاداً فهو مصدر من مصادر التشريع ذلك أنهم أعرف الناس بروح النصوص وما ترمى إليه من أهداف . . وبالتالى يقيسون الحكم على مايشبهه . وأن يستنبطوا الأحكام الشرعية من أصولها ونصوصها العامة . يقول عليه الصلاة والسلام : (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى » . . (٢) وقال أيضاً لمعاذ - رضى الله - عنه حين بعثه إلى اليمن ، فبم تحكم ؟ قال : بكتاب الله قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيى . فضرب رسول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى صدره وقال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله)(٣) ولقوله (جعل الله للمصيب أجرين والمخطىء واحداً)(٤) .

خصائص الدعوة الإسلامية

ا - الربانية فى المصدر والتوجيه :

إن الوجود لا يتسق بين المخلوقات ويطرد بدون تناقض ، إلا إذا

(١) المسند ٢ / ١٦٢ ، ١٩٢ .
(٢) المسند ٤ / ١٢٦ ، ابن ماجه (المقدمة) .
(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث ٢٠ ، المسند ١/٢٣٣
(٤) التفسير والمفسرون ٢/ ١٥

كان هناك من يقوم على أمره إيجاداً وتوجيهاً . والإنسان مهما أوتى من العلم والقوة والبأس ، فإن الضعف والجهـــل والنسيان ينتابه بين الحين والحين وما دام الإنسان على هذا النحو ، فإنه عاجز تمـاما عن إيجاد نفسه فضلا عن إيجاد غيره . وكذلك هو عاجز عن التوجيه لبنى جنسه إلى التى هى أقـــوم فى معترك الحياة . وكذا سائر الـكائنات الأخرى ، وهذا شيء طبيعى ، ففاقد الشيء لا يعطيه .

بل لا بد أن يكون القائم على ذلك ،قادراً عالماً خبيراً بشئون الخلق ودقائق الحياة . ولا يوصف بهذا كله ، إلا قيوم الـكون والأكوان فهو عليم بهم خبير بأحوالهم . يقول عز شأنه :(إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفوراً)(١) (وما تـكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين)(٢) .

وقد استأثر ، تبارك وتعالى ، بتوجيه خلقه إلى ما ينفعهم ويحفظ عليهم حياتهم . ويحذرهم من كل شر أو ضرر يلحق بهم ، مع التسليم المطلق بأنه لا يقع شيء فى الوجود إلا بمشيئة الله وقدرته الغالبة يقول عز شأنه (فعال لما يريد)(٣) (والله خلقكم وما تعملون)(٤) (وربك يخلق ما يشاء ويختار)(٥) الخ النصوص التى تؤكد أن كل شيء مرده

---

(١) الاية (٤١) من سورة فاطر
(٢) الاية «٦١» من سورة يونس
(٣) الاية - ١٦ - من سورة البروج .
(٤) الاية - ٩٦ - من سورة الصافات
(٥) من الاية - ٦٨ - من سورة القصص

الى الله : خلقاً وولاية ومرجعاً ومصيراً (ألا إلى الله تصير الأمور(١)).

٢ – العالمية :

اقتضت مشيئة الله أن تكون الشرائع السابقة محلية فى زمانها ومكانها ، ثم تنقضى بانقضاء عصرها ، ثم يرسل الله شريعة أخرى ، على حسب ظروف الناس وما يحتاجون إليه فى حياتهم من تشريع . ولما وصلت البشرية إلى نضجها العقلى – أو كادت – وأصبحت فى مقدورها أن تستوعب ما ينزل عليها من وحى السماء . أرسل الله ورسوله ، محمداً – صلى الله عليه وسلم – للعالمين بشيراً ونذيراً . يقول الحق تبارك وتعالى : (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)(٢) .

فمعجزات المرسلين السابقين – صلوات الله وسلامه عليهم – كانت وقتية ، ينتهى إعجازها بانتهاء زمانها ولا يتأثر بها الا من رآها ، فإذا تأملنا الإسلام ومعجزاته ، وجدنا أن معجزته الباقية وهى القرآن الكريم ، لم تعتمد على خوارق العادات ، بل اعتمدت على التأمل والنظر والفكر ، وكلما مضى جيل وجاءت أجيال ، وجدت القرآن غضا كما نزل ، لا يجف مدده ، ولا يجمد عند جيل من الأجيال أو عصر من العصور ، وهذا أكبر دليل على عالمية الدعوة بمفهومها العام الذى يشمل العقيدة والشريعة ، يقول ربنا فى كتابه العزيز : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون)(٣) .

والمتتبع للآيات التى تؤكد عالمية الدعوة يلاحظ أنها كانت فى الفترة

---

(١) من الاية – ٥٣ – من سورة الشورى .

(٢) الاية الأولى من سورة الفرقان .

المكية من حياة سيد المرسلين - عليهم الصلاة والسلام - وهذا يبطل ما ادعاه بعض أعداء الإسلام حيث قالوا : ان محمداً بدأ عرض الرسالة معنياً بقومه وحدهم ، فلما نجح فى إخضاعهم ، أغراه النجاح بتوسيع دائرة الدعوة ، فزعم أنه للخلق كلهم(١) .

ولو نظرنا إلى الترتيب الطبيعى ، أو العقل المجرد ، لأدركنا أن الرسول - صلى الله عليه وسلم- كان مصيباً فيما سلكه من منهج ، وإلا فكيف يسوغ فى عرف العقل أن يدعو العالمين تاركا قومه وعشيرته الأقربين؟ ! ! فقد بدأ بقومه ، فكان منهم من آمن ومنهم من كفر بلا قسر أو إكراه ثم اتجه بدعوته إلى العالمين عملا بقول الحق عز وجل (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً)(٢) .

ومما يؤكد عالمية الدعوة : ما رواه الإمام أحمد بسنده عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه قال « أعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى ، ولا أقوله فخراً . بعثت إلى الناس كافة ، الأحمر والأسود، ونصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتى يوم القيامة فهى لمن لا يشرك بالله شيئا »(٣) .

٣ - الخاتمة :

ومن خصائص الدعوة الإسلامية ، أنها ختمت بها جميع الشرائع والنبوات والرسالات . قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت

---

(١) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية للشيخ الغزالى ص١٥٠ .
(٢) من لآية ١٥٨ من سورة الأعراف .
(٣) المسند ١/ ٣٠١ ، ١/ ٢٥٠ .

عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا »(١) ، ولا ينتظر نبيا أو رسولا ورسالة أخرى ، إلا من طمس الله بصائرهم فزاغت قلوبهم عن الحق ويقين الإيمان قال تعالى « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً » (٢) .

لقد انصهرت جميع الشرائع فى الشريعة الخاتمة « « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » (٣) ، روى الإمام مسلم عن أبى موسى قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفس بيده ، لا يسمع بى رجل من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بى إلا دخل النار » (٤) وروى مسلم أيضاً بسنده عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بى النبيون »(٥) وما ورد فى الصحيحين عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « إن لى أسماء ، أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله تعالى بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ؛ وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى »(٦) .

---

(١) من الاية (٣) من سورة المائدة .
(٢) الاية (٤) من سورة الأحزاب .
(٣) الاية (٨٥) من سورة آل عمران .
(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان ١/ ٩٣ .
(٥) مسلم كتاب المساجد ٢ / ٦٤ .
(٦) صحيح البخارى كتاب المناقب ٣/ ٢٢٥ ، مسلم ٧/ ٨٩ .

٤ - الشمول :

ولما كانت الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، وختمت بها جميع الشرائع ، كان من الواجب أن تكون كامله شاملة لكل ما يندرج تحتها من قضايا ، معالجة لكل مايستجد من أمور . تأمر الناس بالسير في كل ما ينفع ويفيد في طريق الدنيا والآخرة ، وهذا الأمر يقوم على دعامتين :

« ا » علاقة الفرد بربه . « ب » علاقته بالمجتمع .

أما علاقة العبد بربه ، فلابد وأن تكون مبنية على عقيدة صحيحة راسخة ، بأن الله هو الخالق النافع الضار ، وهو الموصوف بصفات الكمال ، والمنزه عن صفات النقص ، وأن هناك عبادات افترضها الله على عباده ، مثل أركان الإسلام الخمس وغيرها ، ومن هـذه العبادات ما ظهرت الحكمة الإلهية من تشريعه ، ومنها ما استأثر الله بعلمه . فالواجب علينا أن ننفذها دون نقص للحقائق أو البحث عن المتشابه وليكن شعارنا قول الحق المتعال : (سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)(١) .

وينبغي للمكلف أن يدرك تماما ، أن هذه العبادات وأعمال الخير على تنوعها ، لا تكافيء المولى - عز وجل - على ما أنعم ، وإنما هي شكر - بقدر استطاعة المكلف - على ما وهب وأحسن كل شيء صنعا . (وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار)(٢) .

إنه إن امتثل لشريعة الله . وأحسن الصلة فيما بينه وبين خالقه ،

---

(١) من الايه (٢٨٥) من سورة البقرة.

(٢) الآية (٣٤) من سورة إبراهيم .

كان قد حقق الغاية التى خلق الله الإنسان من أجلها . قال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)(١) . وقوله عليه الصلاة والسلام : « ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ..)(٢) .

وبهذا يحقق خلافته عن الله فى الأرض ، بإقامته للحق ، ونشره للعدل والمحبة فيها يقول ربنا ـ عز شأنه ـ (وإذا قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون)(٣) .

وعندئذ يتم له التمكين فى الأرض بالحياة الرغيدة الآمنة ، والفلاح فى الآخرة ، قال تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)(٤) (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)(٥) .

(ب) علاقة الفرد بالمجتمع :

ليس المجتمع إسما لجسم معين ، وإنما المجتمع عبارة عن مجموعة من

---

(١) الايات (٥٦ - ٥٨) من سورة الذاريات .
(٢) سنن الدارمى المقدمة
(٣) الاية (٣٠) من سورة البقرة .
(٤) الآية (٥٥) من سورة النور .
(٥) الآيتان (١٧ ، ١٨) من سورة الزمر

الأسر ، إنضم بعضها إلى البعض الآخر ، فتكون ما يسمى بالمجتمع . فإن كانت الأسر صالحة ؛ ملتزمة بتعاليم دينها وبالقيم ؛ والأعراف الإنسانية المهذبة ، كان المجتمع صالحا . وإن كانت الأسر غير ملتزمة بدينها ولا بالقيم والأعراف الإنسانية التى تتفق وروح الإسلام ، كان المجتمع كذلك . وسادت الفوضى وعمت الهمجية ، وأصبحت الحياة جحيما لا يطاق .

والأسر تتكون وتنشأ فى العرف الدينى - عن طريق الزواج - ولقد حرص الإسلام على أن يكون الزواج مؤديا الغرض والهدف الإجتماعى الإنسانى الذى شرع من أجله : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)(١) .

وحتى يستقيم الزواج ويتفق مع المنطق السوى ، فلم يجعل نوعا من التخمين ، بأن يتزوج الإنسان المرأة ، وقد لا يشعر نحوها بالمودة والرحمة والسكينة نتيجة لعدم رؤيتها - لذا أباح الإسلام النظرة إلى المرأة بقصد خطبتها .. فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : كنت عند النبى - صلى الله عليه وسلم - فأتاه رجل فأخبره أنه خطب إمرأة من الأنصار فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أنظرت إليها ؟ قال : لا . قال : فاذهب فانظر إليها فإن فى أعين الأنصار شيئاً »(٢) .

بهذا قد أباح الإسلام لكلا الزوجين أن يرى من الآخر ، ما يرغبه فى الزواج أو يحمله على الانصراف وذلك كله فى حدود ما شرع الله

(١) الآية (٢١) من سورة الروم
(٢) مسند الطيالسى ح ١١٨٦ ، المسند للإمام احمد ٣ / ٣٢٤

عز وجل . هذا بالنسبة للهيئة أو الشكل، أما بالنسبة للصفات والأخلاق، فقد حض الإسلام ورغب الرجل فى تخير ذات الدين إذا ما أراد الزواج . حتى تكون الأسرة مثالا للطهر والنقاء ، فعن أبى هريرة - أيضا - رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، وجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك »(١) . ومن حديث ابن عمر مرفوعاً « لا تتزوجوا النساء لحسنهن ، فعسى حسنهن أن يرديهن - أى يهلكهن - ولا تتزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين . ولأمة سوداء ذات دين أفضل »(٢) .

وكما جعل الإسلام هذا من حقوق الرجل ، فقد جعل كذلك للمرأة حقوقا على المثل من ذلك : فقد جعل من حقها أن تقبل أو ترفض مايعرض عليها من الراغبين فى الزواج منها ، وليس للولى أن يكرهها على شىء من هذا القبيل . فعن عبد الله بن بريدة ، أن فتاة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أبى زوجنى ابن أخيه ليرفع خسيسته ، فجعل صلى الله عليه وسلم - الأمر إليها فقالت : قد أجزت ما صنع أبى ، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شىء »(٣) وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن ، قالوا يارسول الله وكيف إذنها؟ قال : أن تسكت »(٤) وعن خنساء بنت خزام الأنصارية أن أباها زوجها وهى ثيب فكرهت ذلك ، فأتت رسول الله - صلى الله

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٣٧٧ .
(٢) المرجع السابق .
(٣،٥) أقضية رسول الله - صلى الله عليه وسلم ص ٦٨ ، ٦٩ .
(٤) المرجع السابق .

عليه وسلم فرد نكاحه(١) .

فإذا تكونت الأسر على هذا النحو ، فإن المجتمع سيكون مجتمعاً صالحا . أفراده متعاونون يعامل كل واحد منهم الآخرين كما يحب أن يعامل . ويعامل أبناء غيره كما يحب أن يعامل أبناؤه وإخوته . وعندئذ يصبح المجتمع مجتمعا مترابطا كما شبهه النبي صلى الله عليه وسلم بالجسد الواحد حيث قال: « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر »(٢) .

فالإيمان غاية ووسيلة ، غاية لمن يبحث عن الحقيقة فى الدين ، ووسيلة ترابط وأخوة ، وتعاون ووحدة ، وتماسك وبر وتكافل . ولم يتوقف الإسلام بالفرد عند هذا الحد تجاه المجتمع ، وإنما فتح الطريق أمام عينيه إلى فضائل الأعمال حيث قال : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)(٣) . فإذا وجد الإنسان ما يخالف الدين ، لجأ إلى النصيحة لا إلى التجريح فقد قال عليه الصلاة والسلام : « الدين النصيحة ، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ورسوله ، ولكتابه وأئمة المسلمين وعامتهم »(٤) .

﴿ واقعية الدعوة الإسلامية ﴾

نقصد بالواقعية : مسايرة الدعوة للإنسان السوى ، ذى الفطرة ، النقية ، والترفق به فلا تكلفه ما لا يطيق ، ولا ترهقه من أمر عسراً

---

(١) المرجع السابق .

(٢) صحيح البخارى كتاب الأدب ٨ / ١١ ، مسلم كتاب البر ٨ / ٢٠

(٣) من الآية (٩) من سورة الحشر .

(٤) المسند ١ / ٤١٧ ، سنن الدارمى/ المقدمة .

(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) «١» ، وتوجهه إلى طريق النور (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) «٢» .

وإذا كان الواقع مخالفا لما ينبغى أن يكون عليه العقلاء، فإن الدعوة لا تصطدم به ، بل تحاول تهذيبه وتقويمه ، بما يتمشى مع الدين الحق والعقل السوى والمنطق القويم ، وليس بواجب أن يتم ذلك دفعة واحدة حتى لا ينفر الناس من الدعوة ، بل يتم على مراحل وفقا لسنة الله ، تبارك وتعالى ، فى التدرج فى التشريع كما هو واضح فى أسلوب الشرع نحو تحريم الخمر ، ومشروعية الآذان ، والصيام إلخ .

ولم تكن الدعوة الإسلامية جامدة متخلفة عن مسايرة ركب الحياة المتجددة ، كلما أقبل ليل أو طلع نهار ، بل سارت بخطى متوازية تشرع له ، وتوجه إلى الصراط المستقيم يقول الحق عز وجل (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء) «٣» وقوله عليه الصلاة والسلام : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى) «٤» .

وقد كان من مرونة الشرع الحكيم ، أن فتح باب الإجتهاد إلى يوم التناد ، حتى نجد لكل أمر من الأمور المستحدثة فى حياتنا الجواب الصحيح والحل الأمثل ، فإن النصوص لا يزاد عليها ولا تنقص بوفاة النبى عليه الصلاة والسلام : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) «٥» فما دامت النصوص ثابتة ، وهى عقلا لا توجد الحل

---

(١) من الآية الأخيرة من سورة .
(٢) من الآية (٢٥٧) من سورة البقرة
(٣) من الآية (٨٩) من سورة النحل
(٤) المسند ١ - ٤١٧ . سنن الد[illegible] المقد[illegible] .
(٥) الآية (٩) من سورة الحجر .

الصريح لكل أمر أو مسألة فقهية، وإنما فيها من القواعد العامة والضوابط الأصولية، بحيث ترجع إليها جميع الجزئيات والفرعيات على سبيل الإجتهاد والقياس، فللمصيب أجران، وللمخطىء أجر واحد لقوله عليه الصلاة والسلام (جعل الله للمصيب أجرين وللمخطىء واحداً)«١»، ولقوله، صلى الله عليه وسلم، لمعاذ حين بعثه إلى اليمن (فبم تحكم؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، في صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول الله، لما يرضى رسول الله) «٢».

ولما كان الإسلام قد سلك هذا المنهج لتبعيه رحمة بهم وشفقة، فإنه قد نهى المتشددين عن مسلكهم الذي لا يطيقونه، رحمة منه وفضلا كما حدث مع عبد الله بن عمر وحينما كلف نفسه مالا يطيق، وكيف أنه ندم في أخريات حياته على عدم قبوله لرخصة الشرع إذ عجز عن المداومة، يؤكد ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى)«٣».

﴿ الحكم الشرعي لتبليغ الدعوة الإسلامية ﴾

يظن كثير من المسلمين أن الدعوة إلى الله واجب فئة قليلة من الناس أسموهم، تجاوزاً، رجال الدين، وهذه التسمية كانت ولا تزال شائعة عند غير المسلمين، إذ يعتبرونها تشريفا وليست تكليفا، وعلى أساسها كانوا يحلون الحرام ويحرمون الحلال فباعوا دينهم بدنياهم وكانت عاقبة أمرهم خسراً.

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سنن الدارمي - كتاب الرقاق، رياض الصالحين باب الرفق.

أما الإسلام ، فإنه يعتبر أن جميع أتباعه دعاة إلى الله على سبيل الوجوب ، لا على سبيل التطوع المندوب ، فمن قصر فى هذا الواجب العينى، كان مقصراً فى صميم دينه وأساس عقيدته ، وفوق هذا . فإن الإسلام قد اعتبر أن الفلاح والنجاة مرتبطة بأداء هذا الواجب ، قال عز وجل : « والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (١). ونلمس هذا الوجوب فى قوله عليه الصلاة والسلام ، من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان(٢) .

وهكذا كان أصحاب الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، من بعده : يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله حتى وصل الإسلام إلى حدود الصين شرقا ، والأندلس غربا وتطابق عملهم مع أقوالهم ، يسوسون المسلمين بشرع الله الحكيم ، فلا استبداد ولا ظلم ولا تعدى ، حتى إن عمر ، رضى الله عنه ، كان يقول : ومن رأى فى اعوجاجا فليقومه بسيفه) وقول أبى بكر ، رضى الله عنه :(أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم : الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه » (٣) .

(منهج تبليغ الدعوة)

للدعوة مناهج متعددة تؤدى بها ، واختلاف مناهجها على حسب اختلاف الدعاة وأعمارهم وثقافاتهم . كما أن المدعوين على هذا النحو من

(١) سورة العصر بتمامها .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٦ / ٣٠١ ، إعجاز القرآن ص ٦٥ .

الاختلاف، من أميين ومتعلمين ومثقفين. وحتى تكون الدعوة ناجحة ينبغي أن يراعى فيها الآتي:

أولا: أن يكون هناك جهاز عام للدعوة على مستوى المسلمين، يدرس بصورة منتظمة أحوال المسلمين من تقدم وتخلف وأسباب كل كما يدرس أحوال الأمم الأخرى، مع بيان نوعية معاملتها مع المسلمين من صداقة أو عداوة وغير ذلك، حتى تكون الدعوة مواكبة لكل هذه الظروف متفاعلة معها. فإن الأسلوب إذا لم يتفق مع مستوى المدعوين قلما يثمر.

ثانيا: إعداد الدعاة إعدادا جيدا، بحيث يكونون على المستوى اللائق بهم حتى يستطيعوا أن يواجهوا كل مايعترض طريقهم بأسلوب علمي منهجي منظم.

ثالثا: إقامة دورات منتظمة، ليلتقي فيها الدعاة الأكثر كفاءة وخبرة في هذا المجال، حتى يبصروا إخوانهم المحدثين بمواطن الخطر، وكيفية معالجة هذه الأمور.

رابعا: الترفق بالمدعوين، لأن الفظاظة، كثيرا ما تصد الناس عن طريق الفكرة أو الدعوة. وبالتالي يعرضون عنها (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)(١).

خامسا: البدء بالأهم فالمهم، مع الإيجاز في الموعظة. حتى لا يمل السامعون فينفروا منها، أو يشعرون بأن الدعوة ومضمونها سيثقل كاهلهم.

سادسا: الجمع بين البشارة والنذارة. مع تغليب البشارة إن كانوا بداية أمرهم. وتغليب النذارة إن كانوا مسلمين من فترة غير قصيرة، وهم

---

(١) من الاية (٥٩) من سورة آل عمران.

مع ذلك مقصرون: يقول الله عز وجل : (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب)«١» نبي عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم)«٢» .

سابعا : أن لانستبطيء الثمار والنتائج ، لأن من يتعجل الشيء ولايظفر به . قد يؤدى به هذا إلى ضعف وفتور ، أو يأس وقنوط من هذا المجال . مما يجعله عضوا غير نافع وبالتالى يكون حجة على غيره فى مفهوم الناس .

﴿ حكم من لم تبلغه الدعوة ﴾

إن أى شخص لم تبلغه الدعوة ، سواء أكان موجودا قبل بعثة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - أو وجد بعدها . ولكن لم يتيسر له بلوغ الدعوة إليه . فإن العدالة الإلهية تقتضى أن لا يحاسب . وهذا الحكم يتناسب مع العقل والمنطق . إذ كيف يحاسب عن الشيء من لاعلم له به ؟ !! فكما أن الصبى والنائم والمجنون لا يحاسبون لقوله عليه الصلاة والسلام : « رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق وعن الصبى حتى يحتلم»«٣» لانهم لايسموا فى حالة إدراك تام . فيقاس عليهم بل هو أبعد منهم عن الإدراك : من لم تبلغه الدعوة قال عز وجل : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)«٤» .

ومن العلماء من يقول : إن دخولهم الجنة غير مقطوع به . وإنما

---

(١) من الايه (٦) من سورة الرعد .

(٢) لاية (٤٩ ، ٥) من سورة الحجر .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢ - ١٨٧ ، صحيح البخارى ٣ - ٢٣٢ (كتاب الشهادات) . وصحيح مسلم كتاب الإمارة ٦ - ٢٩

(٤) من الاية (١٥) من سورة الإسراء

يجرى الله لهم اختباراً فإن وفقوا فيه : أدخلهم الجنة ، وإلا عوقبوا بدخولهم النار . فقد روى الإمام أحمد بسنده عن الأسود بن سريع أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئا ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات فى فترة ، فأما الأصم فيقول: رب قد جاء الإسلام وما أسمع شيئا ، وأما الاحمق فيقول: رب قد جاء الإسلام ، والصبيان يحذفونى بالبعر ، وأما الهرم فيقول : رب جاء الإسلام وما أعقل شيئا ، وأما الذى مات فى الفترة فيقول : رب ما أتانى لك رسول ، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم : أن ادخلوا النار ، فوالذى نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاما » . وفى رواية « فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها يسحب إليها »(١) .

(الصبيان الذين ماتوا قبل البلوغ)

هؤلاء الصبية الذين ماتوا قبل البلوغ ، وإن كانوا أولاداً لمسلمين ، فإن الله يدخلهم الجنة بلا خلاف . ودليل ذلك قوله تعالى : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم)(٢) . أما صبيان المشركين : ففريق من العلماء يقول : إنهم فى النار لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - « هم مع آبائهم (٣) وفريق آخر يقول: ليسوا من أهل الجنة ، وليسوا من أهل النار لقوله عليه الصلاة والسلام : « لم يكن لهم سيئات فيعذبوا بها ، فيكونوا من أهل النار . ولم يكن لهم حسنات فيجازوا بها فيكونوا من أهل الجنة »(٤) ، والأصوب أنهم

---

(١) المسند ٤ - ٣٤ ، تفسير القرآن العظيم ٥ - ٥١ .
(٢) من الآية (٢١) من سورة الطور .
(٣) تفسير القرآن العظيم ٥ - ٥٢ .
(٤) تفسير القرآن العظيم ٥ - ٥١ .

مثل أولاد المسلمين لقوله عليه الصلاة والسلام: (كل مولود يولد على الفطرة)(١).

﴿ من صفات الدعاة ﴾

هناك صفات ينبغى أن يتحلى بها الدعاة إلى الله تبارك وتعالى: حتى حتى تقبل كلمتهم، وتثمر دعوتهم. وأهم هذه الصفات هى:

١ - الكفاءة العلمية حتى يستطيع أن يرد على تلك التساؤلات التى تطرح عليه من حين لآخر.

٢ - أن لا يستبطىء الدعاة الثمار والنتائج، لأن من يتعجل الشىء أو الأمر ولا يظفر به، قد يؤدى به إلى ضعف فى العزيمة أو فتور فى الهمة، أو يصل به إلى اليأس والقنوط من رحمة الله. مما يجعله عضواً غير نافع فى هذا المجال، وبالتالى يكون حجة على غيره فى مفهوم الناس.

٣ - أن يكون قدوة حسنة لمن يدعونهم حتى تترك دعوتهم ثمرتها فيهم. فإذا اختلف القول مع العمل كانت الثمرة محدودة إن لم تكن معدومة.

٤ - أن يتحلوا بجميل السجايا وكريم الصفات، فإن الدعوة تحتاج إلى حلم مثلا، حتى يتحمل الداعية جفاء الجاهلين. وتحتاج إلى صبر، حتى يستطيع الداعية أن يبلغ دعوته بكل ما يستطيع من سبل .. وتحتاج إلى كرم وسخاء وجود، حتى إذا احتاج إلى تدعيم دعوته ماديا ومعنويا كان ذلك ميسورا له، وتحتاج إلى معرفة شاملة

---

(١) المسند ٣ - ٣٥٣، تفسير القرآن العظيم ٤ - ٢٤٥، صحيح البخارى تفسير سورة الروم ٦ / ١٤٣.

وعلم غزير ، حتى يستطيع الداعية أن يقنع غيره بدعوته بالحجة القوية والموعظة الحسنة .

٥ - أن يترسم الدعاة خطى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقدر الطاقة البشرية ففي ذلك الفلاح في الدارين .

هـذا .. والله تبارك وتعالى - وحده - هو المستعان ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون . جعلنا الله وإياكم من العاملين بكتابه ، القائمين عند حدوده ، المتبعين لسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم -

د/ زكي محمد أبو سريع

أهم مراجع البحث

١ - القرآن الكريم .
٢ - تفسير القرآن العظيم للعلامة ابن كثير .
٣ - إرشاد العقل السليم لأبى السعود .
٤ - الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله القرطبى .
٥ - روح المعانى للعلامة الآلوسى .
٦ - جامع البيان لابن جرير الطبرى .
٧ - فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب .
٨ - صحيح البخارى .
٩ - صحيح مسلم .
١٠ - المسند للإمام أحمد .
١١ - مسند الدرامى (سنن الدرامى) .
١٢ - مسند أبى داود .
١٣ - سنن ابن ماجة .
١٤ - الدين الخالص للمرحوم محمود أمين خطاب .
١٥ - أحكام القرآن للجصاص .
١٦ - أقضية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .
١٧ - الدعوة الإسلامية والإعلام الدينى د / عبد الله شحاته .
١٨ - مع الأنبياء : عبد الفتاح طبارة .
١٩ - خاتم النبيين : للمرحوم / محمد أبو زهرة .
٢٠ - دفاع عن السنة للمرحوم / محمد أبو شهبة .
٢١ - منن الله على رسوله فى القرآن د / زكى محمد أبو سريع .
٢٢ - تحقيق تفسير ابن عطية الاندلسى د / زكى محمد أبوسريع .
٢٣ - فقه السيرة لعلامة العصر الشيخ / محمد الغزالى .